

الأسباب الخفية للهجرة الأفريقية

د | سعد عبدالعزيز مناع كلية الآداب - قسم علم الاجتماع جامعة سرت - ليبيا saad.manna@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023/05./01

تاريخ القبول: 2023/03./21

تاريخ الإرسال: 2022/12./21

ملخص: بدأت الهجرات البشرية منذ بداية تكوين المجتمعات الإنسانية ، ولقد ساهمت هذه الهجرات في تلاقي الحضارات ، لكن مع مرور الزمن والوقت أصبح هناك توجس ومواقف سلبية اتجاه هذه الهجرات ، جل الخبراء يعزون هذه الهجرة لظروف محلية وعوامل تقليدية ، مثل الحروب الأهلية أو الكوارث الطبيعية أو جفاف مصادر الماء أو تدني الموارد الاقتصادية. القارة الأفريقية ضمن أهم مناطق العالم التي تواجه أزمة الهجرة ، والغرب يقود في حملة ممنهجة لإقناعها بخطورة هذه الهجرات على أمنه الاقتصادي والاجتماعي ، هذه الدراسة تحاول الإجابة عن حقيقة أسباب الهجرة بل التهجير من أفريقيا وتحاول الكشف عن الدور الخفي للدول الغربية في الهجرة من أفريقيا وتحاول تقديم بعض الآراء للمساهمة في حل هذه الأزمة .

الكلمات المفتاحية: الهجرة الأفريقية ، الهجرة غير الشرعية ، التنصير ، الرقيق .

Abstract

Summary of the study Human migrations began since the beginning of the formation of the human : societies, and these migrations contributed to the fertilization of civilizations, but with the passage of the time there became apprehension and negative attitudes towards these migrations. Most experts attribute this to local conditions and traditional factors, such as civil wars, natural disasters, dry water sources, declining economic resources, or the failure of economic policies, and programs. The African continent is among the most important regions of the world facing the migration crisis, and the West is a leading a systematic campaign to convince us of the seriousness of these migrations on its economic and social security. This study attempts to answer the causes of migration, rather displacement from Africa, and tries to reveal the hidden role of Western countries in migration from Africa and tries to provide some opinions to contribute to resolving this crisis.

1. مقدمة:

بدأت الهجرات البشرية منذ بداية تكوين المجتمعات الإنسانية (بدأت الهجرة التاريخية للبشر بحركة الإنسان المنتصب من أفريقيا عبر أوراسيا منذ نحو 1.75 مليون سنة. ويبدو أن الإنسان العاقل قد سكن كل من أفريقيا منذ حوالي 150.000 سنة، وتحرك خارج أفريقيا قبل 70.000 سنة، ثم انتشر في جميع أنحاء أستراليا وآسيا وأوروبا قبل 40.000 سنة قبل الميلاد. وبدأت الهجرة إلى الأمريكيتين قبل 20.000 إلى 15.000 سنة)1، ولقد ساهمت هذه الهجرات في تلاقح الحضارات وأسست لنمو المجتمعات وساهمت في بروز الحضارات الجديدة كانت أكثر تطوراً اجتماعياً وثقافياً وعلمياً، ولعل ما نراه اليوم من تطور تقني وصناعي ومعرفي مذهل هو خير دليل على ما أنجزه العقل البشري عبر كل العصور بغض النظر عن جنسه أو لونه أو دينه.

كانت الأسباب الطبيعية كالجفاف والفيضانات والزلازل وغيرها من أهم أسباب انتقال المجموعات البشرية من مكان إلى آخر، كما ساهمت أيضاً النزاعات والصراعات والحروب في الدفع بالكثير من السكان المحليين بشكل فردي أو جماعي إلى خارج ديارهم و أحيانا إلى خارج حدود بلدانهم التقليدية.

لقرون من الزمن لم تكن هناك أي قيود للحدّ أوتقنين أو منع لهذه التحركات البشرية بغض النظر عن عددها أو هويتها أو اتجاه نزوحها، بل تلك الهجرات كان مرحب بها، مثال على ذلك ما حدث حديثاً بالحرب العالمية الأولى والثانية حيث هاجر الكثير من العلماء والأثرياء والمطاردين سياسياً من أوروبا ومناطق أخرى من العالم إلى أمريكا، وقد ساهم أولئك المهاجرون بشكلٍ فعال في ازدهار اقتصاد أمريكا التي كانت بعيدة عن ميدان القتال والقصف والدمار .

لكن مع مرور الوقت وفي ظل ما شهده العالم من أزمات سياسية واقتصادية ونظراً لما أفرزته هذه الأزمات من ظواهر هدامة مثل الإرهاب والتطرف والتجارة بالبشر والمخدرات والأسلحة، أصبح هناك توجس و مواقف سلبية اتجاه الهجرات البشرية خاصة منها القادمة من مناطق التوترات والنزاعات المسلحة، ومن الدول الأقل نمواً والأكثر فقراً، لتزحف نحو المناطق الأكثر استقراراً سياسياً و ازدهاراً اقتصادياً ولها مستويات أعلى في مجال الصحة والتعليم والتقنية وغيرها من مجالات الحياة.

تباين المواقف حيال أسباب وآليات التعاطي مع ظاهرة الهجرة لم يكن بين الدوائر الحكومية والسياسية فحسب، بل طال حتى الدارسين والأخصائيين الاجتماعيين، الأمر الذي يتطلب منا تقديم رؤيتنا وفق معطياتنا السياسية والاجتماعية والتاريخية لظاهرة الهجرة بالقارة الأفريقية، التي نحن جزء أصيل منها و نتأثر بشكل مباشر من تداعياتها، وهذا هو المشكل الذي تحاول هذه الدراسة تناوله.

1.1. الإشكالية:

الهجرة بصورة عامة سواء كانت الشرعية أو غير الشرعية هي إحدى أهم الموضوعات التي شغلت الكثير من المؤسسات البحثية والأكاديمية بكل دول العالم نظراً للارتباطات المحتملة للهجرة مع العديد من الظواهر السلبية الأخرى التي تعاني من آثارها الكثير من الدول والمجتمعات، كالمخدرات والإرهاب والتطرف والتجارة بالبشر وغسيل الأموال والجريمة المنظمة وغيرها، وهنا أود أن أؤكد على أنّ محور اهتمام هذه الورقة هو إشكالية الهجرة غير الشرعية نظراً لضخامة أعدادها مقارنة بالهجرة الشرعية والتي يقوم بها تقليدياً من لديهم أموال للدراسة أو الاستثمار أو من لديهم مواهب أو مهنة متميزة .

إنّ ما نراه اليوم من أمواج بشرية تتحرك من وسط وغرب و شرق و جنوب القارة الأفريقية إلى شمالها أصبحت ظاهرة تفرض نفسها بقوة على المشهد المحلي والدولي .

قم دولية ومحلية أصبحت تعقد دورياً للتعاطي مع الآثار المترتبة على هذه التحركات البشرية من داخل القارة الأفريقية متّجهة إلى أماكن جديدة داخل حدود القارة وخارجها .

وسائل الإعلام الدولية بدورها تواكب تطورات ما يحدث لظاهرة ما سُمي بالهجرة غير الشرعية لملايين الأفارقة المغادرين لأوطانهم نحو أوطان جديدة وحياة أفضل كما يأملون.

جلّ المتابعين والمحلّين يعزّون هذه الهجرة لظروف محلّية وعوامل تقليدية كالتى كانت سبباً للكثير من الهجرات البشرية عبر كلّ الحقب ومن كلّ بقاع العالم، مثل الحروب الأهلية أو الكوارث الطبيعية أو جفاف مصادر المياه أو تدنّي الموارد الاقتصادية أو إخفاق سياسات و برامج اقتصادية، ممّا قلّل فرص العمل و ساهم في انتشار البطالة بمعدّلات عالية، وفوّضت فرصة الحياة الكريمة للكثير من السكان.

ما أطرحه في هذه الورقة هو رأى آخر مخالف تماماً عن ما يسوّق على أنّه هو المحرك لهذه الهجرة والتي وصفت بأنّها غير شرعية أي إن المهاجرين لا يتبعون الطرق الرسمية المتعارف عليها بين الدول وهي تقديم مستنداتك عبر سفارات الدول و تنتظر الحصول على تأشيرة الدخول لتلك الدول سواء كان ذلك لغرض السياحة أو الدراسة أو العمل أو حتى حقّ الإقامة أحياناً.

الأطروحة التى أقدمها إن هذه الهجرة هي:

1 : لاشك في أنّها مدفوعة بعوامل سياسية و اقتصادية وحتى ثقافية أحياناً، لكن من الذى صنع هذه البيئة البائسة والطاردة بأفريقيا؟

2: من هو المستثمر الحقيقي لهذه الظاهرة؟

هناك مؤشرات على عملية ممنهجة و مخطّط لها وبدقة كبيرة جدّاً، و بإشراف مؤسسات دينية وسياسية وشركات اقتصادية عملاقة ومراكز مخابرات غربية وعبر قرون من الزمن، وتهدف جميعاً لتحقيق هدفين أساسيين من خلال التعامل و التفاعل مع ظاهرة الهجرة من أفريقيا، سواء كانت شرعية أو غير شرعية بالإضافة إلى أهداف أخرى جانبية ومنها:

أولاً: تعزيز حضور أوروبا المسيحية أي التنصير.

وهناك الكثير من الشواهد والأدلة التى تبرهن على صحة هذه الفرضية وتكشف نوايا و أهداف أوروبا في أفريقيا و لقرون من الزمن و بقيادات دينية و سياسية مرموقة في أوروبا، هناك عهود و موثيق أعطيت لتصبح أفريقيا نصرانية مع بداية القرن الواحد والعشرين.

ثانياً: الإبقاء على أفريقيا كمنجم لأوروبا للمواد الخام بكلّ أنواعها وكما كانت عبر جلّ العصور، والأهم من ذلك هو مساهمة أفريقيا في حلّ واحدة من أكبر الأزمات الأوبية المعاصرة وهي معالجة شيخوخة أوروبا بحققها بدماء شبابية جديدة لإدامة استمرار سير عجلتها الاقتصادية وهيمنتها على الاقتصاد العالمى. ولأوروبا تاريخ عريق في استرقاق و تجنيد الغرباء وبلا ثمن من أجل تلبية حاجاتها ودون مراعاة لأدنى معايير احترام للأدوية البشرية .

و من واقع ما نراه من حقائق وإن كانت مخفية بشكل أو بآخر هناك شكوك لا يمكن إنكارها حول عمليات دعم خفية وراء هذه الهجرات في ظلّ ظروف مناسبة لحدوثها مثل الأزمات الاقتصادية والصراعات الدينية والعرقية والسياسية في أغلب الدول الأفريقية.

وفق المعايير الرأسمالية فما الإنسان إلا ترس في عجلة ضخمة تدرّ المليارات، وحتى عندما نسع الحديث عن رفع الأجور والادعاء باحترام حقوق المنتجين، إنما هي غالباً ماتكون إجراءات لامتناس احتقان العمال الغالبة، وهو بالأساس حديث يخصّ بعضاً من مواطنيهم الأصليين وليس القادمين قسراً من وراء البحار .

إنّ أفريقيا لازالت من أهمّ مصادر المواد الخام بكافة أنواعها بما فيها الطاقة البديلة (الطاقة الشمسية) وبها مخزون شبابي هائل يمكن توظيفه والاستفادة منه، وهو الأكثر ملائمة إسوة بالآخرين، فهم لا يشكّلون تحدياً ثقافياً كبيراً للبنية الاجتماعية الغربية مثل الصينيين أو الهنود أو العرب، فجّل الأفارقة المهاجرين تمّ تعليمهم لغة غربية، فالدول الأفريقية تصنّف وفق

المفاهيم السياسية الغربية على أنها إنجلوفونية أو فرانكفونية، في تجاهل صارخ ومهين لهوية أفريقيا، وإنكار لموروثها الثقافي ومن بينها اللغات واللهجات الأفريقية المحلية والوطنية، بالإضافة إلى اعتناق جزء كبير منهم للمسيحية، كما أن معاناتهم الطويلة مع الفقر قد يجعلهم يقبلون بمرتببات متدنية مقابل عطائهم الكبير .

إن إعطاء الصبغة الاقتصادية لدوافع هؤلاء المهاجرين وبشكل مجرد سواء من حيث منشأ المشكل أو توظيف النتيجة ما هو إلا فرضية مضللة يمكن أن نصدقها بسهولة لتجاهل حقيقة ما هندسه له الغرب في الماضي وما يخطط له اليوم، فهو يسعى لإعادة رسم شكل جديد لشمال أفريقيا يكون أقرب روحياً لأوروبا المسيحية لمواجهة انتشار ظاهرة فوبيا التطرف الإسلامي، الذي طالت أياديته الكثير من العواصم والمدن الأوروبية، بالإضافة إلى محاولة مواجهة ظاهرة شيخوخة أوروبا التي أصبحت حقيقة لا يمكن تجاهلها، وهذا يعني أنه بعد أن تم نهب ثروات أفريقيا في الماضي، اليوم يتم تفريغها من قدراتها الشابة، التي قد تسعى بشكل أو بآخر للنهوض بأفريقيا، وهذا يضمن تبعية أفريقيا لإرادة أوروبا لعقود قادمة. سنحاول و بكل موضوعية أن نبرهن على هذه الفرضية من خلال الأدلة والاحصائيات والمؤشرات الفكرية ذات العلاقة.

فرضية الدراسة :

إن هذه الأمواج البشرية التي نراها اليوم تغادر أوطانها لا يمكن أن يكون السبب هو أن هذه القارة طاردة ولا توجد بها موارد وإمكانات للحياة والعيش بها، أو أنها تُعزى إلى خلل في المنظومات الفكرية أو الاجتماعية لمجتمعات هذه القارة، أو أن يكون هجر الديار هو كرة و بغض فطري لها .

كما أن المواطن الأفريقي ليس عاجزاً جسدياً أو متخلفاً عقلياً حتى يعجز على إدارة شؤون حياته و موارده، أو ينقصه المداد الثقافي والمعرفي لمواجهة مشاكله و معوقات تقدمه و إصلاح معيشته و تجاوز ما يواجهه من صعوبات.

إذن لابد من أن نفكر وبصوت عالٍ و جهوري لنسأل ما هي الأسباب الحقيقية وراء أزمات هذه القارة؟ و التي من أهمها الهجرة والمغامرة للخطر للعيش بأوطان أخرى .

إن التعاطي غير الموضوعي مع أي ظاهرة لن ينتج الحل الناجع لمواجهة المسكنات لا تناوحي علتها.

هناك واقع مريب أنتج ظاهرة أكثر مرارة وهي هجرة الأفارقة وبشكل يزداد خطورة و معاناة مع مرور الوقت، هذا الواقع صنعتته معطيات وأنتجته ظروف زمنية و مكانية وهناك من لا يريد أن يخوض فيها ليسمّيها بمسئلتها لأنه ستكون لذلك عواقب قد لا تروق للكثيرين ممن يرون أن الحديث عن أو الخوض في خطايا الكبار هو من المحرمات.

كل الدراسات تشير لوجود علاقة للعوامل الاقتصادية و الصراعات المسلحة في ارتفاع أعداد المهاجرين لبلادهم، وإذا أردنا الحد أو التقليل منها علينا حل هذه الإشكاليات، وإذا ما تحدثنا عن الهجرات الأفريقية فهي أيضاً مدفوعة بهذه الأسباب، وهذا يعني لولا الفقر والصراعات ما كانت هذه الهجرات، وهذا حقيقة يعني أيضاً أنه لولا الاستعمار الغربي لأفريقيا لما كانت هذه الهجرة، ولو لم يكن هناك حاجة ما و استثماراً سواء في أوروبا أو أمريكا لهذه الأيدي والسواعد والعقول الأفريقية لما كان لهم أن يعبروا آلاف الأميال حتى يصلوا إلى تخومهم و ليطلقون أبوابهم ليفتحوا لمن يريدون ويصدون غير المرغوبين فيهم، وبدون رحمة ولاشفقة، هذه هي الفرضية التي سأحاول البرهان عليها من خلال هذه الورقة البحثية. لأن الحديث عن الأسباب دون الخوض في أغوارها يظل عملاً نظرياً ولا يرتقى إلى مستوى وضع استراتيجيات للحلول الناجعة لها، فمن اليسير أن نقول إن الفقر هو أحد أهم أسبابها، و لكن الأهم هو معرفة من الذي أنتج الفقر وسوء المعيشة التي أفرزت هذه الظاهرة الاجتماعية المقلقة لأفريقيا ولبعض القارات الأخرى. الهجرة من أفريقيا هي ليست قدراً بل هي محصلة منطقية لقرون من السلب والنهب لثرواتها من الغرب، ولو لم يكن هناك فائدة ما يمكن أن تجنيها أوروبا لكن هناك حزم و شدة مفرطة في كبح جماح هذا العنفوان من الطوفان البشري الأسمر العابر للقارات.

2.1. أهمية الدراسة:

لاشك أن تداعيات و انعكاسات الهجرة غير الشرعية أصبحت حقيقة ملموسة يمكن رؤية تجلياتها بأغلب عواصم ومدن العالم، ويمكن تقييم آثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية من خلال تقارير المنظمات المحلية والدولية، وفي مقدمتها تقارير الأجهزة ذات الاختصاص التابعة للأمم المتحدة (ابتلعت أمواج البحر المتوسط أحلام 29 ألف مهاجر لقوا

حتفهم قبل أن تطأ أقدامهم شواطئ أوروبا، في ثمان سنوات²، وعليه وأمام هذه المأساة البشرية أصبح من الضرورة دراسة أسباب ازدياد تصاعد وتيرة هذه الظاهرة و تتبّع أركانها والنش عن جذورها، فهو مطلب حيوي وملح لكل الأفارقة، والأكثر أهمية هو دقة ما يقدم لنا من معلومات و تفسيرات لهذه القضية البالغة الأهمية، الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر في فهمنا لها وفي تقديم المشورة لعلاجها .

للأسف نحن ولعقود من الزمن كنّا غالباً ما نعرف أنفسنا عن طريق ما يكتبه عدونا عنّا و نعتبره ذا مصداقية لا تقبل الجدل، وكانت الصدمة كبيرة عندما اكتشفنا لاحقاً أنّ الغرب المنتصر كتب لنا تاريخنا كما يحلو له هو وقدم لنا نفسه علنائه كان المحرّر والمحدث الحضاري و المبشر بالجنة، وأن وجود جماع المجاهدين الجزائريين بردهات المتاحف الفرنسية على سبيل المثال ما هي إلا قرباناً لما قدّمته فرنسا من خدمات جليلة كما تزعم للجزائر وغيرها من الدول الأفريقية (أكد الباحث الجزائري في التاريخ وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) على فريد بلقاضي أنّ آخر جرد تمّ إنجازه، أشار إلى أنّ عدد جماع المقاومين الجزائريين المنحدرين من كلّ ربوع الجزائر المحفوظة في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بباريس يقدر بـ 536 جمجمة³).

قياساً على هذا هناك الكثير من المواقف السابقة والأحداث الجسيمة التي خدعنا في فهمها بفعل تأثير ماكينة الغرب الإعلامية، وعليه أليس من حقنا أن نتساءل هل كلّ ما يكتب عن الهجرة غير الشرعية هو موضوعي ومبعث أهداف إنسانية نبيلة ؟

إنّ هذا الطرح تنتابه الكثير من الشكوك والظنون في ظلّ السيطرة الشبه تامة للمؤسسات الإعلامية الغربية مثل (بي بي سي و سي إن إن والفكس نيوز والتايمز وواشنطن بوست وفرانس 24 ناهيك عن غيرها من المئات من المنصّات الإعلامية الغربية) على صناعة الرأي العام العالمي، والتي من أهمّ منطلقاتها هو الترويج للقيم الغربية وتزيينها وتقديمها حلوة كقطعة الشكولاتة، ولذيذة كوجبات الماكدونالدز، في حين يتمّ شيطنة كلّ خصم لهم ويوصف بالجهل والتخلف والتطرف والديكتاتورية، وتقدّم لنا حججاً وأساطير وتفسيرات لإقناعنا بموضوعية الغرب في ما يقول وما ينقل لنا من معلومات وأفكار عن مشروعية الأهداف التي يناضلون من أجلها، وبسبب ذلك كانت هناك الكثير من الحقائق التي لا يمكن أن نراها أونعياها إلا إذا خرجنا من الصندوق الذي حشرتنا فيه تلك المنصّات الإعلامية الغربية المختلفة.

إنّ فهم الكثير من القضايا الفكرية والسياسية والثقافية العالمية والمحلية يتطلب منا جهداً ذهنياً وفكراً خلاقاً لفهمه، مستندين على ما تعلّمناه من عذابات الماضي و تجاربه المريرة ودروسه المستفادة، والتي في مقدماتها تلقينا رؤى و نظريات فسرتها دول ومؤسسات وفق منهج تفكيرها وإطار مرجعياتها الثقافية ومن أجل تهيئة الظروف وبما يخدم مصالحها الخاصة.

إنّ اخفاقنا في استخلاص الدروس والعبر قد يجعلنا نخاطر في مشاريع هدامة قد تؤدّي إلى الإطاحة بنا وبأوطاننا.

على مر التاريخ برّر الغرب كلّ حروبه خارج حدوده، وخاضها تحت شعارات برّاقة و أحلام هادئة لا كوابيس بها.

تاريخياً فاستعمار جُلّ أفريقيا كان يقال عنه هو محاولة غربية للنهوض بأفريقيا، وبالأمر القريب دمرت أفغانستان بحجة مكافحة الإرهاب والعراق بتهمة امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل، ولكنّ الإرهاب ازداد توسّعاً عقب تلك الحرب و العراق لم تكن به أسلحة دمار شامل .

إنّ جُلّ الوثائق التاريخية لبلادنا كتبت بحبر المستعمر لكنّ أظهرها هو ما كتب بدماء أهلنا الذين جلّهم صنّفهم الغرب على أنّهم عصاة ومجرمون وخارجون على القانون، و لن ننسى أبداً زيف ما يدّعيه الغرب وحقيقة ما يفعله.

ألم نخدع في الماضي بزيف ما يدّعيه الغرب ودفعنا ثمن تناقضه بين ما يقول وما يفعل ؟ .

ألم تدفع أمريكا والدول الغربية بكلّ قوتها من أجل فرض الولوج في مشروع الفوضى الخلاقة بالدول العربية في 2011، بحجة إرساء قيم الحرية والديمقراطية والأمن والاستقرار والتنمية والازدهار الاقتصادي ؟

صاحب كل هذه الحملات العسكرية المدمرة تترام الفرع الموعود وساهمت وسائله الإعلامية في رصف طريق الموت ومسارب هجرة الأوطان، وفتحت أبواب جهنم على كل من تم إغواؤه بزيغ الوعود و نبل الأهداف، من خالف خطاب تلك القنوات في ذاك الوقت اعتبر نشازاً بل خصماً، فُمع رأيه وجُمّد رصيده البنكي إن وُجد، وأحياناً يتمّ اصطياده بصاروخ طائرة مسيرة كان أصلاً مصمماً لضرب العربات المجنزرة، والمحصلة كانت مدناً مدمرة و أشلاء مبعثرة وملايين النازحين، واستشرى الإرهاب في كل ربوع المنطقة ونُهبت الثروات وعمّت الفوضى كلّ مناحي الحياة بكلّ المنطقة العربية.

ظاهرة الهجرة من أفريقيا خاصّة غير الشرعية منها تربعت على سُلّم أولويات القمم السياسيّة الدوليّة و المحليّة (قمة الاتحاد الأوروبي ببروكسل 2015-4-21. قمة الاتحاد الأفريقي 32 مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي والاتحاد الأفريقي من أجل إعادة صياغة شراكة متميزة (17 و 18 شباط/فبراير 2022).

والتي غطت عن من سواها من أزمات العالم بالمنصّات الإعلاميّة المختلفة وعقدت المؤتمرات العلميّة والندوات بالجامعات والمراكز البحثيّة خاصّة مع بدايات هذا القرن الواحد والعشرين من أجل اتخاذ سياسات ناجعة للتصدي لها.

الكلّ يقدّم هذه المشكلة على أنّها خطر كبير على الأمن والاستقرار للكثير من دول العالم، ولكنهم يدّعون أنّها أكثر خطورة على دول الغرب المتقدّمة تقنيّاً والمزدهرة اقتصاديّاً عن من سواها من الدول، وهنا تتجلى أهميّة أن نقوم نحن بدراسة هذه الظاهرة، وأن نراها بعيوننا لا بعيون الآخرين وأن لانقع في خدعة جديدة ونسلم بأنّ الغرب يقدّم ما بوسعة دعماً لنا وعطفاً علينا.

نعم نحن نعيش في أزمة عالميّة بالغة الخطورة، وهي عاصفة الهجرة خاصّة في أفريقيا، ولكنّ هذا لا يبرّر أن نعيش زيف تبرير الظاهرة وأخفاء الدوافع العميقة وراء هذه الظاهرة البشرية القديمة الجديدة.

المؤسّسات الغربيّة السياسيّة والإعلامية تعزو أسباب هذه الموجات البشرية المغادرة لأوطانها إلى أسباب محليّة لتلك الدول، منها الصراعات السياسيّة والحروب الأهلية وتدنى الحالة الاقتصاديّة لتلك المجتمعات، والبطالة، وقلة تنوّع فرص العمل، وضعف التعليم، وغياب برامج للتنمية المستدامة ولخروقات واسعة للمعايير الدوليّة لحقوق الإنسان.

ونحن كأفارقة لاشك أنّنا نستشعر أهميّة وخطورة هذه الظاهرة، ولكن من خلال خبرتنا بعقليّة الغرب كما ذكرنا سلفاً، فإنّه عادة ما يكون له معايير مزدوجة في تعامله مع أكثر القضايا أهمية وخطورة، هذا يجعلنا نشاركه هموم الظاهرة وتجليّاتها ولكن لسنا ملزمين بأن نصّدق أطروحاته وكماهي، ألسنا نحن الأجدر بالتعاطي مع واقعنا والتعبير عن آلامنا كي ننجا بأنفسنا؟ وعلينا نحن البحث والتحقّق من أسباب تفاقم ظاهرة الهجرة سواء كانت الشرعيّة أو غير الشرعيّة من أفريقيا، عليه فإنّ من الأهمية بمكان إجراء المزيد من الدراسات والإثراء العلمي والتتقيب عن الجواب المفقود، لماذا نهجر أوطاننا؟ و يظلّ هذا مطلباً علميّاً بل ووطنيّاً وأخلاقيّاً، علينا نحن الأفارقة أخذ زمام المبادرة لتسليط الضوء على الجوانب المغيبيّة لمعرفة الأسباب الحقيقيّة التي تدفع بالملايين من شعوبنا للهجرة إلى أوطان بديلة إن أمكن. هل فعلاً الهجرة غير الشرعيّة هي خطر حقيقي على المجتمعات الغربيّة وتثقل كاهله الاقتصادي وتمثّل تحديّاً ثقافيّاً لها ؟ أم أنّ الصورة مقلوبة تماماً و أنّ الخاسر الأول هم الأفارقة؟ وهل نتوقّع أنّ الغرب يمكن أن يقول و بصدق ماهي الأسباب والآثار الحقيقيّة لهذه الهجرة على أوروبا؟ لمثل هذه الأسباب كانت أهميّة إجراء هذه الدراسة التي لعلّها تساهم في تسليط المزيد من الضوء ومن منظور باحث أفريقي في محاولة لفهم كافّة أركان وأبعاد ظاهرة الهجرة من أفريقيا.

3.1. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبّع منشأ أزمة الهجرة و عدم الاستقرار بأفريقيا في مسعى جاد و موضوعي لتأصيل و تحديد الجذور الدفينة و المغيبيّة لظاهرة الهجرة من أفريقيا التي أصبحت خطراً لا يمكن تجاهلها أو السكوت عليه. فلاشك أنّ أفريقيا تواجه في تحدّي وأزمة بالغة الخطورة تهدّد وجودها السياسي و الثقافي والاجتماعي بل و حتى الحضاري في ظلّ عالم يتقلّب مركبه في موج من العواصف و الأعاصير السياسيّة و الاقتصاديّة و الثقافيّة.

أمل أن أساهم بهذا الجهد المتواضع في تقديم مقاربة جديدة لتفسير وتقديم بعض المقترحات و الحلول لظاهرة الهجرة بكل أنواعها في أفريقيا

4.1. منهج الدراسة:

لأشك في أن مناهج البحث الاجتماعي، 4 وكثيرة ومتنوعة وتحكمها ضوابط موضوعية لاختيارها لدراسة ظاهرة اجتماعية ما، من أهم هذه الضوابط هو طبيعة المشكلة التي نريد دراستها و خصوصية مجتمع الدراسة والمعلومات المتاحة حول تلك الظاهرة والموارد المتاحة للباحث وغيرها.

اعتمدت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة الهجرة غير الشرعية في أفريقيا عبر جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والإحصائيات والدراسات السابقة التي تناولت هذه الظاهرة .

أعتقد لا يوجد خلاف إطلاقاً على أن ظاهرة الهجرة عامة وغير الشرعية خاصة أصبحت أزمة إنسانية تواجه كل دول العالم وأن ضحاياها وآثارها وصلت لمعدلات مؤلمة و خطيرة سواء على المستوى الإنساني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، ولكن الخلاف والتباين هو في كيف نفسّر ما الذي يحدث ؟ و ما أسبابه ؟ حتى نتعامل معه بشكل مناسب، ومن المسؤول الأول عن هذا التدافع البشري لا محدود؟

و يزداد الأمر صعوبة في ظلّ الكثير من التوجيه الإعلامي المبرمج في تقديم هذه الظاهرة للرأى العام العالمي.

وعليه فإنّ تحليل هذه المعلومات والبيانات والإحصائيات التي تخصّ هذه الظاهرة هي من سيقودنا لمعرفة الأسباب وتحديد المسؤوليات و إيجاد الحلول المناسبة لمعالجة تفاقم هذه الظاهرة البشرية التي أصبحت تثقل كاهل كلّ الدول و المجتمعات

5.1. مصطلحات الدراسة:

أهم المفاهيم المستخدمة في هذه الدراسة:

الهجرة: وفق تعريف وكالة الهجرة التابعة للأمم المتحدة: المهاجر هو أيّ شخص انتقل عبر حدود دولية أو داخل دولته بعيداً عن مكان إقامته بغضّ النظر عن المدة، وما هو وضعه القانوني؟ وهل كان ذلك اختياراً منه أم مجبر عليه.

الهجرة غير الشرعية: وتعني دخول شخص ما لبلد آخر دون المرور وفق السياق القانوني الذي ينظم دول الأجانب لها مثل إجراءات التأشيرة والوثائق المطلوبة و تحديد سبب الدخول والغرض منه ومدة المكوث بها.

التنصير: هو تحويل عقيدة أو دين فرد أو جماعة ما إلى الديانة المسيحية بغض النظر عن ما هي ديانتة السابقة.

الرقيق: يعنى امتلاك إنسان لإنسان آخر وهياشع أنواع العبودية التي عرفتها البشرية .

حقوق الإنسان: تعنى تمتّع كل إنسان بالحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان منها حقّ التعبير والمعتقد، بغضّ النظر عن لونه أو جنسه أو عرقه أو لونه.

6.1. الدراسات السابقة:

موضوع الهجرة نال اهتمام الباحثين في الكثير من المجتمعات و المراكز البحثية منها

المجلس القومي لحقوق الإنسان و المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية أجرى ا.د. نسرین البغدادی وآخرون سنة 2015، 5 و 6.

بالإضافة إلى دراسة إبراهيم (2013) 7، "آثار الهجرة الأفريقية غير الشرعية إلى أوروبا على بلدان العبور"، و دراسة المصراي (2014) 8، دراسة ناصر بن حمدان (2013) 9 ، بالإضافة إلى دراسة الحوات (2017) 10، ود حميدة على البوسيفي (2019) 11.

كل هذه الدراسات على الرغم من اختلاف عينة الدراسة و زمن و مجتمع الدراسة لكنها كلها أكدت على أنّ العامل الاقتصادي بكلّ تجلياته والصراع السياسي بكافة أنواعه، هما من يساهم في تفاقم هذه الظاهرة، ولكن هذه لا يكفي، فمن أجل مواجهتها علينا أن نسأل عن من كان وراء هذه الصراعات الحدودية والداخلية بأفريقيا؟ وأين ثروات أفريقيا؟ ومن كان وراء هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي والصحي والتعليمي والحياتي البائس في أفريقيا؟ هل هذا الواقع حدث فجأة أم أنّ هناك من صنعه عبر قرون من الزمن ؟ بالإضافة إلى معرفة هل هناك من يوظف هذه الظاهرة لمصحته ويحقق سعادته و رفاهيته من آلام هؤلاء البائسين المغامرين والطامحين في التخلص من واقعهم المرير.

كلّ المؤشرات تؤكد أنّ العامل الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي هما من أهمّ العوامل التي أفرزت عمليات النزوح لملايين الأفارقة من بلدانهم، ولكنّ كلّ هذه العوامل الداخلية كانت نتاجاً لعوامل خارجية، تمتد جذورها لمئات السنين والتي من أهمّها الاستعمار الأوروبي للقارة.

نهب ثروات أفريقيا على أيدي الشركات الأوربية كان من أهمّ أسباب إفقار القارة، وكذلك دور الغرب المباشر في الكثير من الصراعات الداخلية سواء السياسية أو العرقية أو الدينية، جُلّ هذه الصراعات كانت من تدبير وصناعة الغرب، وكانت تُدار وتُمول عبر شركاته ومخابراته وكهنته ورجال دينه من المبشرين بالدين المسيحي، والآن قد يكون هناك من يحاول أن يستثمر هذا الوضع لصالحه، لإثبات حقيقة هذا الاتهام علينا التذكير بتاريخ حملات التنصير الممنهجة التي استهدفت المجتمعات الأفريقية ومعرفة ما وصلت إليه من إنجازات. هناك ثالث مريب يلوح في الأفق لابدّ من إظهاره و معرفة أثره في ولادة الهجرة الأفريقية وكذلك تقييم ما مدى استفادته منها حالياً، هذا الثالث هو دور الشركات الغربية في إفقار القارة و دور الكنسية ومشروعها التنصيري، بالإضافة إلى عامل آخر و هو أزمة إطلالة ملامح الشيوخة على ساحة جلّ سكان أوروبا.

تاريخ الشركات الأوربية في أفريقيا

كل الشواهد والمصادر التاريخية تشير إلى أنّ دور وتأثير الشركات الغربية بأفريقيا قديم بقدم الاحتكاك الأوروبي بالقارة الأفريقية، وقد أشار التز رودوني¹²، بوضوح في كتابه حول أوروبا والتخلف في أفريقيا، أشار إلى أنّ كيانات اقتصادية عملاقة من فرنسا وبريطانيا أسست أصولها المالية الضخمة من صفقات بيع الرقيق أي قبل ظهور المشهد الاستعماري الرسمي لاحقاً.

فبين عامي 1885 و 1914 حصلت بريطانيا على 30% تقريباً من سكان أفريقيا تحت سيطرتها، بالمقارنة مع 15% لفرنسا و 9% لألمانيا و 7% لبلجيكا بالإضافة إلى إيطاليا.

فيما بعد أصبحت هذه الشركات هي اليد الطولى لامتصاص ثروات أفريقيا، وقد مارست ضغطاً كبيراً على قادة وسياسيين بلدان القارة حتّى يتسنى لتلك الشركات الغربية الانفراد باستثمار هذه الثروات، بما يضمن تحقيقها أكبر قدر من المكاسب، بل قامت تلك الشركات بشحن كمّيات هائلة من المواد الخام من أفريقيا إلى مراكز التصنيع في أوروبا، وبذلك أصبح لتلك الشركات الأوربية السيادة والسيطرة على الثروات والموارد والاقتصاديات الأفريقية، و لاشكّ في أنّ هذه السيطرة الأوربية ظلّت قائمة إلى حدّ بعيد حتى بعد مرحلة الاستقلال لعدد كبير من الدول الأفريقية، من خلال إنتاج نخب سياسية بتلك البلدان لتقوم بدور الوكيل لمصالح الشركات الغربية بعباءة و وشم أفريقية.

وإذا ما تتبعنا دور هذه الشركات الغربية في أفريقيا نجد أنّها تحوّلت إلى أذرع اقتصادية وعسكرية وسياسية تدخل بشكل مباشر في العملية السياسية في الكثير من الدول الأفريقية، وكانت طرفاً فاعلاً في الكثير من الصراعات والحروب للحفاظ على مصالحها ونفوذها بالدولة الأفريقية، مثال على ذلك شركة (شارل ديغول-1965) 13، التي كانت عبارة عن دولة داخل دولة بالغاوبون، وكانت مركزاً لمخابراتاً فرنسياً بامتياز، يشرف و يدير الصراع وبكلّ السبل للحفاظ على المصالح الاقتصادية له بالغاوبون.

شركة ألفا الفرنسية كان لها دورٌ كبيرٌ في إقليم بيفرا الغني بالنفط بنيجيريا في أواخر الستينيات، كما اتُّهمَت بالتورّط في الصراع الدموي الذي شهدته الكونغو برازافيل، ذلك الصراع الذي خلف آلاف القتلى والمهجرين الذين كانوا قربانا للحفاظ على امتيازات و نفوذ شركة ألفا خاصة ومصالح فرنسا بصورة عامة 14.

وببقى الأهم من كلّ ذلك هو اصطفااف هذه الشركات إلى جانب نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، تلك المعركة الأخلاقية التي أجمع عليها كلّ العالم ووقف معها، ما عدا الشركات الغربية المتمتعة بخيرات وثروات أفريقيا لقرون.

دعم هذه الشركات للنظام العنصري بجنوب أفريقيا لم يكن سياسياً فقط بل قامت شركتا شل و البى بى البريطانيتان العاملتان بنيجيريا، قامتا بتزويد النظام العنصري بجنوب أفريقيا بالنفط، الأمر الذي أدّى إلى تأميمهما من قبل الحكومة النيجيرية عقابا لهما 15.

إنّ دور وأثر الشركات الغربية بأفريقيا كان و سبظلّ له انعكاسات عميقة على الحياة الاقتصادية والتنموية بأفريقيا، وإنّ هذا الأثر قد يكون من الصعب تعويضة أو معالجته، فقد نهبت المعادن الثمينة مثل النفط والغاز والذهب والماس والحديد واليورانيوم والصمغ والكاكاو والأخشاب والمنتجات الزراعية. ومن ضمن الآثار السلبية المستديمة التي خلفتها تلك الشركات هي أنّ هناك دراسات أثبتت أنّ نسبة الثلوث بالدول التي استعمرتها واستثمرتها تلك الشركات، بلغت نسبة الثلوث بها ما يزيد عن عشرات المرات عن غيرها من باقى الدول الأفريقية التي لم تطلها أيادي تلك الشركات 16..

و مثال على ذلك الأثر المدمر للبيئة الأفريقية بسبب الأنشطة الصناعية للشركات الصناعية الغربية هو إقليم دلتا النيجر الذي تعرّض لأكثر من خمسة آلاف مرة لتسرّب النفط إليه، ممّا أجبر سكانه على ترك منازلهم و مزارعهم ليصبحوا من ضمن جموع المهاجرين الباحثين عن موطن وفرصة عمل خارج أوطانهم 17.

وصل الفرنسيون كمستعمرين للقارة في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، واستعمروا بشكل مباشر أكثر من 20 دولة أفريقية، و حتّى ما بعد ماسمى بالاستقلال ظلّوا هم الحاكمين من خلف الستار عبر شركاتهم ومخابراتهم في كافة القرارات الاقتصادية والسياسية لتلك الدول الأفريقية التي اعتقدت أنّها استقلت وتملك سيادتها وإدارة شؤون شعوبها.

دول أوربية كثيرة ساهمت شركاتها في استنزاف الموارد الأفريقية أسوة بالشركات البريطانية و الفرنسية منها بلجيكا و هولندا و نعرض دور ألمانيا إلتي تعتبر اليوم أكبر قوة اقتصادية في أوربا بل و في العالم.

بدأ الحضور الألماني في أفريقيا في أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر على يد المستشار الألماني أوتو فون بسمارك، 18، وبضغط من التجار ورجال الإرساليات الدينية ورجال الصحافة والرأي العام الألماني لتوسع مجال النفوذ الألماني بأفريقيا الواعدة بالخامات المتنوعة لشركاتهم الصناعية.

ضغط اللوبي الألماني (شركات و تجار وقساوسة) على الحكومة الألمانية للتحرك بهدف حماية المصالح الألمانية وإيجاد مناطق نفوذ ألمانيا في أفريقيا، فكانت مؤسسة «اوزفالت» 1844م من المؤسسات التجارية الألمانية السبابة في أفريقيا وتم افتتاح فرع لها في زنجبار في العام 1849م.

كما ظهر عدد من رجال الإرساليات الألمان، وكان من بينهم «كراف» 1844م و«ريمان» 1846م، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات والجمعيات المحرّضة على ما عرف بالاندفاع و الانفتاح نحو الشرق ، والتي كان من أهمها الجمعية الألمانية للدراسات الأفريقية» التي تأسست في العام 1878م، تأسست «الجمعية الألمانية للاستثمار على يد مجموعة من رجال الأعمال الألمان، وترأسها كارل ببيتز في مارس 1884م.. وكانت من أكبر المحرّضين على التوجّه للعمل في شرق أفريقيا ثم استعمارها ، و ألمانيا التي تعتبر اليوم أحد أهم عمالقة الاقتصاد في العالم لم تبدي أيّ اهتمام، ولم تظهر أيّ جهد لمساعدة الأفارقة الفقراء، على الرغم من أنّها هي من ضمن الدول التي نهبت ثروات الأفارقة عبر شركاتها، ، في حين أنّها عبّرت عن ندمها على ما ارتكب النازيون الألمان من جرائم بحق اليهود في الحرب العالمية الثانية و قبلت بالاعتذار عن تلك الجرائم وقدمت التعويض المادي لهم، ومن جانب آخر ألمانيا تُعتبر الوجهة الثانية للمهاجرين عالميا بعد الولايات المتحدة الأمريكية وفق تقارير للأمم المتحدة 2019، علما بأن الأفارقة يشكلون رقماً مهماً في معادلة الهجرة غير الشرعية..

في كل الأحوال لا يمكننا أن نتجاهل أنّ الأوضاع الاقتصادية الحالية في أفريقيا هي نتاج تراكم لقرون من النهب والفساد سواء كان ذلك على أيدي شركات غربية أو نخب سياسية أفريقية حاكمة كانت تتلقى في الدعم والتمويل و التوجيه من تلك الشركات الغربية، والاعتراف والدعم السياسي من الدول الغربية الضالعة بشكل مباشر في استعمار أفريقيا مثل بريطانيا وفرنسا ونذكر هنا أنّ النظام العنصري بجنوب أفريقيا الذي كان يحظى برعاية ودعم بريطانيا إلى آخر يوم في وجوده، في حين قاطعته جلّ دول العالم.

وإذا ما عدنا إلى تداعيات الهجرة غير الشرعية في أفريقيا فهي ممّا لاشك فيه أنّها إلى حدّ كبير هي نتاج لتراكمات الحقبة الاستعمارية في أفريقيا، وأنّ ما نسمعه من قلق أوروبي منها هو أمر مشكوك فيه نظراً للحاجة الماسة لبعض هذه الدول لتلبية حاجتها من الأيدي العاملة الاقتصادية الأوربي. أفريقيا كانت مشرقة ومزدهرة لولا الحضور الغربي بها. 19، فحضور الشركات الغربية في أفريقيا لم يكن مجرد زيارة لفوج من الكاشفة أو السّواح، بل كان حضوراً مميّناً وقاتلاً لدورة الاقتصاد في أفريقيا، وإنّ التّصل من عواقبه هو أمر لم يعد مقبول نظراً لما وصلت له الحياة الاقتصادية في أفريقيا، حتّى أجبر سكانها على مغادرتها و بالملايين، و حتى عند وصولهم لأوروبا لن يكون حضورهم إلّا صورة جديدة للرقيق الأفريقي في مصانع وحقول أوروبا وأمريكا.

الشيخوخة تهدّد أوروبا

حتّى القرون الوسطى في أوروبا الغربيّة، كانت أيّ محاولة لتحديد النسل أو منع الحمل تعترضها الكثير من الموانع والتي من أهمّها موقف الكنيسة المعارض لهذه القضية، وكانت الفكرة مرفوضة أخلاقياً، ولكن مع مرور الوقت ونظراً لتطوّر هذه المجتمعات صناعياً واقتصادياً بدأ حوار سياسي واجتماعي لإعادة النظر في مسألة تحديد النسل وتوفير وسائل منع الحمل و بدأ في بريطانيا تأسيس أول عيادة لتحديد النسل عام 1921 على يد ماري ستوبز وماس مالثوس، 21، ثم اتسعت دائرة القبول بحريّة تحديد النسل بالكثير من المجتمعات الأوربية منها فرنسا عام 1967 عن طريق قانون نيورث 22، بالتالي السماح باستخدام موانع الحمل، ولكن ظلّ للكنيسة تأثير إلى حدّ ما في محاربة منع استخدام موانع الحمل، فعلى سبيل المثال ظلّ هذا الأمر غير مشروع له بجمهورية إيرلندا حتى 1980، و لكن تدريجياً أصبح الأمر مشروع له على نطاق واسع بأوروبا، وأصبحت أدوات منح الحمل والحدّ من الإنجاب متاحة، وظلّ هذا توجه عام لدى معظم الأسر بالدول الأوربيّة حتى بدأت معدّلات الولادة في ثمانينيات القرن التاسع عشر بالانخفاض بثبات في الدول الصناعية، وأصبحت هذه الظاهرة تزداد اتساعاً حتى أصبحت هذه المجتمعات تواجه حقيقة قلّة الشباب وازدياد نسبة كبار السن، وبدأت الانعكاسات لهذه الظاهرة على الإنتاج الصناعي وأصبحت الحاجة للعمالة الوافدة شرعيّة أو غير شرعية حاجة ماسّة لضمان استمرار واستقرار العجلة الاقتصادية لأوروبا الصناعية، ودقّت أجراس خطورة شيخوخة أوروبا ظهرت علناً ومن أفواه كبار المسؤولين، وبالتأكيد أنّهم أعدّوا لها الخطط المناسبة لمواجهة هذا التحديّ الخطير. فقد اعترفت نائبة رئيس المفوضية الأوروبية للديمقراطية والديموغرافيا "دوبرافكا سويكا" بحقيقة شيخوخة أوروبا.

فأوروبا بها حوالي 191 مليون شخص منهم من تتجاوز أعمارهم الستين، وتشير الإحصائيات إلى أنّ خمس سكان الاتحاد الأوروبي أعمارهم 65 عاماً، وحسب الدراسة التي أعدّها مركز المستقبل، فإنّها تشير إلى الزيادة السريعة في معدّلات الشيخوخة بدول الاتحاد الأوروبي، ففي إيطاليا حوالي 18 مليون أي حوالي 30% من سكانها تجاوزوا 60 عاماً، بينما تضم ألمانيا حوالي 24 مليون شخص أكبر من 60 عاماً، وهو ما يعادل 28.6% من إجمالي السكان.

ألمانيا تعتبر في الهجرات القادمة لها مطلباً يلبي لها ما تواجه من نقص في الأيدي العاملة ، فقد أعلن رئيس مجلس إدارة الوكالة الاتحادية للعمل بألمانيا (أ. ديتليف شيله) أنّ ألمانيا بحاجة لنحو 400 ألف مهاجر سنوياً. وهذا يعكس الزيادة المضطّرة سنوياً لمزيد من العمالة من خارج الاتحاد الأوروبي، أكد أ. ديتليف أنّ الأمر بالنسبة له لا يتعلق باللجوء، وإنّما بالهجرة الهادفة لسدّ العجز في سوق العمل، 23.

الموقف الكندي جاء متسقاً تماماً مع التوجّه الذي يعتبر في الهجرة مطلباً ضرورياً للحفاظ على النمو الاقتصادي في واحدة من أهمّ اقتصاديات العالم، جاء هذا الموقف على لسان وزير الهجرة شون فريز حيث قال (كندا بحاجة لمزيد من

الناس) 24، كما قامت الحكومة الكندية بتعديل أهدافها لاستقبال 500 ألف مهاجر في 2025، علماً بأن كندا استقبلت 400 ألف مهاجر في 2022 كان هو الأعلى معدلاً على الإطلاق في عام واحد.

ألا تعكس كل هذه التصريحات الموقف الحقيقي لكيف ينظر الغرب الصناعي للهجرة غير الشرعية؟ وهو أمر مؤسف لأنه يشكل طبيعة التناقض في ما يقوله الغرب وما يقوم به، بالإضافة إلى أنه أمرٌ محبطٌ لأن الغرب لا يريد أن يعترف بحق الأفارقة بالتعويض لسنين العذاب التي تعرّض لها من قبل الغرب، والتي أخلّت بالتوازن والاستقرار في أفريقيا، وما الهجرة غير الشرعية إلا عرض واحد من الأعراض المرضية والعلل التي تنهش في الجسد الأفريقي، وتقوض فرص النهوض الاقتصادي والتطور الاجتماعي المطلوب لسكان القارة²⁴.

أما في المملكة المتحدة فربع سكانها تجاوزت أعمارهم 60 عاماً، وفي فرنسا فهم 17.5 مليون نسمة أي ما يشكل 27% من إجمالي السكان، وفي إسبانيا تصل نسبة من تجاوز الـ 60 عاماً إلى 26.3% من إجمالي عدد السكان²⁵. إذن هل من المنطق أن تظل أوروبا ساكنة وصامتة أمام هذا الخطر الداهم المزعوم ودون أن تبحث عن البديل ولو بالقوة لإيجاد بدائل لتعويض ما تحتاجه من سواعد شابة لدفع عجلتها الاقتصادية، أوروبا دافعت عن مصالحها بأعتى مالدتها من قوة، فبسبب الدفاع عن مصادر الطاقة والمواد الخام والطرق التجارية كانت الحرب العالمية الأولى والثانية ناهيك عن حروب أخرى مثل حرب الكوريتين وفيتنام والحرب الباردة وحرب أفغانستان والعراق وليبيا وغيرها، في كل هذه الحروب رفعت شعارات برّاقة مثل الحرية والديمقراطية والتحضر وحقوق الإنسان في حين كانت المصالح الاقتصادية هي الدافع الحقيقي لكل هذه الحروب وغيرها، فلا عجب في أن نرى بعض الأساليب الناعمة لتحقيق تلك المصالح، فما نراه اليوم من جهود أوروبية لحماية المهاجرين غير الشرعيين مثل تقديم بعض المساعدات الطبية والغذائية لهم، والحديث عن رصدها لما يتعرّض له بعض المهاجرين من معاملة لا إنسانية وتوثيق بعض حالات الإغتصاب، وكذلك اتّهام بعض الأفراد والوكالات في الاتجار بالبشر، لكن كل هذا لا يعكس حقيقة تعاطي أوروبا مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية، فأوروبا لو أرادت إيقاف هذه الظاهرة فهي لديها القوة العسكرية والأمنية لقفل كل مسار الهجرة ومن مصادرها، ولديها القوة الاقتصادية للمساهمة في مشاريع للتنمية المستدامة بدول نهبت ثرواتها من قبل أوروبا ولقرون من الزمن، وإذا ما تأملنا حقيقة منهم المهاجرون وما مدى أهميتهم لأوروبا، عندها نعرف ما الذي تريده أوروبا حقيقة من وراء تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية، ويزداد هذا الأمر وضوحاً إذا ما تذكرنا مطالبة بعض الدول الأوروبية من بعض الدول مثل ليبيا و تونس والجزائر بأن تقيم معسكرات إيواء للمهاجرين الأفارقة على أن تقوم وكالات أوروبية بزيارتهم والالتقاء بهم و جمع المعلومات عنهم، ثم تقوم تلك الوكالات بفرز من تراه مناسباً ومؤهلاً للحصول على إذن الهجرة للدول الأوروبية، بل طلبت بالسماح للباقيين بالإقامة بتلك الدول التي أقامت لهم معسكرات إيواء .

هذه حقيقة لا يمكن تجاهلها ونحن نتفاعل بشكل أو بآخر بما يُسمى بالهجرة غير الشرعية، فجزء كبير منها هو عمل ممنهج لتحقيق متطلبات أوروبية، بغض النظر عن كل ما نسمعه من حديث يخالف هذه الحقيقة. فأوروبا هي المسبب الحقيقي في كل العوامل الطاردة للأفارقة من بلدانهم، وهي من يستثمر اليوم في هذه المعاناة. والأفارقة الذين نُقلوا سابقاً كعبيد للعمل في مزارع ومصانع أوروبا وأمريكا، اليوم هم أنفسهم يأتون زاحفين من أجل العيش في أوروبا التي لازالت تتعامل معهم بالكثير من الدونية والاسترقاق، ولا زالت تنتظر إليهم على أنهم هم أدواتها للصناعة والإنتاج وعبر كل القرون، ولا عجب أن غُلف هذا المطلب بغلاف جذاب (حرية التنقل، حرية التعبير، حرية دينية إلخ) ولكن اللب لم يتغير، الأفارقة و ثرواتهم هي ملك مشاع لأوروبا وشركاتها. هذا الطرح الذي قد ترفضه أوروبا بل حتى تنتقده ولكن الواقع يقول أن جل أعمار المهاجرين هم على مقاس ما تحتاجه أوروبا من عمالة، فقد أكدت الأمم المتحدة في تقريرها عام 2019، أن معظم المهاجرين الدوليين (حوالي 74 %) هم في سن العمل أي ما بين 20 سنة و 64 سنة، وقد شهدت أفريقيا نمواً في عدد سكانها بلغ 30% خلال الفترة من 2000 إلى 2019، وهذه هي الزيادة الأكبر قارياً في ارتفاع معدلات الخصوبة وزيادة العمر، وتشير تقديرات الأمم المتحدة في 2017 إلى وجود 164 مليون عامل مهاجر من جميع أنحاء العالم، وتؤكد هذه التقارير الدولية أن أفريقيا ترتبها الثانية في معدلات الهجرة منها، وتعتبر أمريكا وأوروبا هي الوجهة الأولى التي يقصدها المهاجرون الأفارقة بصورة خاصة.

وبهذه المعطيات التي ذكرناها وهي موثقة وصادرة من جهات دولية لا سلطان لنا عليها كأفارقة يمكننا أن نقول: إن الهجرة غير الشرعية هي مطلب مهم وحيوي لأوروبا رغم كل الضوضاء والصراخ والتهويل لخطر هذه الهجرة على أوروبا، وإن الخاسر الحقيقي سواء على المستوى الفردي - نظراً لخطورة سلوك هذه الدروب الطويلة - أو على المستوى الوطني والقاري فإن أفريقيا هي الخاسر الأكبر فيها، فهي بذلك تخسر في أكبر ثروة وطنية لديها وهي شبابها وكوادرها الفنية ناهيك عن ثرواتها الطبيعية التي سرقتها الشركات الأوروبية، وهذان هما الأسباب الحقيقية التي أنتجت هذا الواقع المزري بالكثير من دولنا الأفريقية،²⁶.

تاريخ التنصير في أفريقيا

تُعرف قارة أفريقيا بالقارة المسلمة، إذ عرفت الإسلام بعد خمس سنوات فقط من البعثة النبوية وبمرور الوقت انتشر الإسلام في أرجاء القارة سلمياً عن طريق القوافل التجارية عبر ممرات الصحراء وكذلك عن طريق المرابطين وعبر الممالك الإسلامية التي ظهرت في أفريقيا مثل إمبراطورية سونغاي وغانا ومالي في غرب القارة إضافة إلى ممالك «كانم» وما جاورها في إقليم بحيرة تشاد ومن مصر عبر البحر الأحمر إلى الصومال ثم توغلوا في شرق أفريقيا ووسطها بمساعدة التجار من جزيرة العرب ولكن في القرون المتأخرة، عرفت القارة ظاهرة جديدة عليها تُعرف بالتنصير، وهي حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور عقب فشل الحروب الصليبية كان هدفها نشر النصرانية بين غير المسيحيين وخاصة في أفريقيا، بهدف تنصير المسلمين وغيرهم ومن الأفارقة غير المسلمين وهذا ما عرف بحركة التنصير وتحت مسميات أخرى مثل التبشير، الاستشراق وغيرها من المسميات فمن خلال الاكتشافات البرتغالية دخل المنصرون الكاثوليك إلى إفريقيا مع بداية القرن الخامس عشر، ثم تلتها الإرساليات التنصيرية البروتستانتية من بريطانيا وفرنسا وألمانيا على الدول الإفريقية، ووقد استخدموا أساليب ناعمة وخشنة لتحقيق أهدافهم مثل الإغاة الاقتصادية والمعونات الطبية والمساهمة في التعليم المحلي وغيرها من الخدمات الإنسانية والتي كانت كلها تهدف للترويج للمسيحية بعد الحقبة الاستعمارية لأفريقيا من قبل الدول الغربية، مثل بريطانيا وفرنسا والبرتغال والبلجيكا واليطاليين وغيرهم، وفي القرن التاسع عشر والعشرين اتجه الغربيون للغزو الفكري والثقافي والإعلامي وأصبح الفاتيكان يعتمد على الغزو العسكري والفكري لتهيئة الظروف لهذه المجتمعات لدخول الكنائس وتوحدت هذه الحملة المكوكة لبابا الفاتيكان جون بول الثاني 1980 التي بدأت بزائير (الكونغو الديمقراطية حالياً) والكونغو ثم كينيا وغانا وبوركينا فاسو وساحل العاج وخلالها قال قولته المشهورة: (إنني أرجو أن يكون بحلول عام 2000م قد تنصرت إفريقيا جميعها)²⁷.

إذن كيف لنا أن نتجاهل هذا الوعد والأمانى لبابا الفاتيكان ونعزله عن مجريات ما نراه اليوم من أحداث عالمية وفي مقدمتها حركة الهجرة غير الشرعية في أفريقيا، فهذا الحلم تحركه دوافع عميقة تستهدف الإسلام والعرب معاً، فالقارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة هي قارة أفريقيا من بين قارات العالم ففيها 70% من المجتمع العربي المسلم كما أن 75% من الأراضي العربية الإسلامية هي موجودة في أفريقيا، وأكثر من 60% من مجموع سكان أفريقيا هم مسلمون، بالإضافة إلى القبول الأفريقي للقيم الإسلامية وفي مقدمتها تحريم الرقيق الذي عانت منه شعوب القارة الويلات و كان أحد المظالم التي عانت منها شعوب القارة الأفريقية بفعل الدول الأوروبية النصرانية.

يُعتقد أن الإسباني (ريمون لول) هو أول من قاد حملات التنصير في القرن السادس عشر. وبعده الألماني (بيتر هيلنج) وفي عام (1795) تأسست جمعية لندن التبشيرية، وتبعتها أخريات في اسكتلندا ونيويورك وألمانيا وغيرها من البلدان الأوروبية، وكانت كل نشاطاتهم تحت غطاء الأعمال الإنسانية مثل الإغاة والخدمات الصحية وفي المدارس وغيرها، ثم تلتهم الكنيسة البروتستانتية في 1808.

أصبح صموئيل زويمر رئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط والخليج، كان يتولّى إدارة مجلة أسماها بـ «العالم الإسلامي»، وقدّمت له الكنيسة الأمريكية دعمها الكامل في ما يقوم من جهود لتنصير أفريقيا، ثم اتجهت حملة التنصير لتستهدف دولاً عربية أفريقية مسلمة بشمال أفريقيا، فقامت الكنيسة بمحاولات نشر التنصير في الجزائر وتونس والمغرب، فقد دعمت الكنيسة بل وشاركت في الحملة الفرنسية على الجزائر وحولت المساجد إلى كنائس، منها مسجد كتشاوة ومسجد السيدة، وقام الجنرال روفيغو بهدم مسجد كتشاوة بالعاصمة الجزائر بعد أن ذبح وقتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم وهم يصلون. واستغلت الكنيسة سوء الأحوال الاقتصادية بالجزائر لتحقيق أهدافها التنصيرية، فقام

القس بريموالت بإنشاء مركز للأطفال المشردين في «بوفاريك» وآخر في «ابن عكنون» سنة 1843م، وعندما حل مرض الكوليرا بالجزائريين حلت مع المرض الإرساليات التنصيرية وعلى رأسها (البارون أو غسطين دوفالار) الذي كانت له جهود واسعة في تقديم فرنسا المسيحية تحت لافتة الأعمال الخيرية المقدمة إلى مسلمي الجزائر، وتظل كاتدرائية كاثوليكية تُعرف بالسيدة الإفريقية التي شيدت على أيدي الفرنسيين سنة 1872 شاهد على تلك الحقبة لجهود التنصير بالشمال الإفريقي العربي المسلم.

الكاردينال الفرنسي (شارل مارسال ألان لافيجري) انصبت جهوده في تنصير الأطفال الجياع الفقراء، وأسس ما تسمى بفرقة الآباء البيض في 1869 والتي كانت مهمتها تنصير الجزائر وتونس والمغرب. ومن بعدها حركة الأخوات البيض التي أوكل لها مسؤولية تنصير النساء عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية،²⁹.

في إطار التوسع في جهود لافيجري التنصيرية بدول شمال أفريقيا انتقل إلى تونس ليضع أسس كاتدرائية تونس في عام 1884، وبذلك هيأ لافيجري للمنصرين المناخ المناسب للقيام بهمامهم في تونس في ظل الاحتلال الفرنسي لها،

و ظلت تونس هدفاً لحملات التنصير، فيعد استقلالها من الاستعمار الفرنسي، سنة 1956 عادت طلائع حملات التنصير لتونس من جديد، وتجلت في مجموعات من الأفارقة في 2003، وتحت مظلة البنك الأفريقي للتنمية، وبدأوا في تفعيل دور الكنيسة في التنصير بين صفوف المسلمين مستفيدين من صغوط الاتحاد الأوربي للنظام التونسي بضرورة احترام الأديان مقابل الحصول على مساعدات مالية لمواجهة أزمتها الاقتصادية.

نظراً لأهمية موقع مصر على الصعيد العربي والأفريقي فقد كانت مقصداً للحملات التبشيرية، وتولى لويس ماسينيون حملة التنصير في مصر، وقد كان للاتفاق الذي تم بين الكنيسة البروتستانتية والأقباط في سنة 1819 من أجل إرسال بعثات تنصير إلى الحبشة ودول شرق إفريقيا، كان لهذا الاتفاق دور مهم في توسيع دعوات التنصير، ثم انضمت لهم بعثات أخرى من السويد وأنجلترا حتى وصلت إلى (مومباسا) في كينيا، ووصل الرهبان البيض الفرنسيين بقيادة لافيجري إلى أوغندا، ووصلت بعثة ليفنستون ووستلي إلى أفريقيا الوسطى سنة 1978 ثم تقاسمت البعثات الغربية الإنجليزية والأسكتلندية والألمانية الأدوار للتنصير في المنطقة الممتدة من شرق أفريقيا ووسطها حتى السودان و مدغشقر.

و قد كان للجمعية الأدبية الدينية للقس أو غسطين إسهامات كبيرة في محاولات تنصير المسلمين، ومواجهة التأثير الإسلامي على بعض الأوروبيين عن طريق نشر كتابات أو غسطين والقس سبريان.

التنصير في السودان حقق مكاسب كثيرة، وأهمها كان هو انفصال جنوب السودان عن شماله، ليكون دولة مسيحية و لتصبح حاجزاً يمنع تمدد الإسلام شرقاً وجنوباً من القارة الأفريقية، كما أصبح إقليم دارفور بؤرة أخرى لحملات تنصير السودان، والدول الإسلامية الأخرى المجاورة له، وفي ظل القتال والتناحر الداخلي أصبح من السهل دخول المنظمات الإنسانية الغربية التي تدعى تقديم المساعدات الاقتصادية والطبية للمحتاجين، أي ذات طابع إنساني من الصعب أن تعترض عليه، ولكن في الحقيقة ما هي إلا وكالات كنائسية تعتبر في مهمة التنصير هي مهمتها الأساسية، بل والمقدسة بالنسبة لها، فوصلت عدد المنظمات لأكثر من 300 منظمة، منها منظمة (كاريتاس) العتامية الكاثوليكية التي أعلنت رسمياً أنها استهدفت أكثر من مئة ألف كانوا مسلمين بتلك المنطقة. وفي ظل تفشي الفقر تولت تلك المنظمات الكنسية رعاية بعض المشاريع ذات الطابع الإنساني، مثل العلاج والتعليم والإغاثة، ومثال لتلك المنظمات كانت: الراهبات وأطباء بلا حدود ومدارس كمبوني وسنت جيمس وغيرها، ويتم ربط هذه المؤسسات الخدمية بالأنشطة الاجتماعية كجمعية القديس منصور، والقديسة ماري تريزا بالدمازين بالسودان، وربط هذه الكنائس بأسم القبائل لضمان استمراريتها.

بعد جهودها في شمال أفريقيا العربي المسلم نشطت حركة التنصير لتستهدف منطقة القبائل ووسط إفريقيا برعاية الكاردينال لافيجري وقامت مايسمي بفرقة الآباء البيض بمهمة تأمين الصحراء وفتح الطريق أمام المنصرين من الذين يقصدون بلاد جنوب الصحراء ووسط إفريقيا، وكانت كل هذه الجهود برعاية الكنيسة والسلطة الاستعمارية

اتجهت الحملة التنصيرية باتجاه مالي في منتصف القرن الثامن. وظلّت مالي حيث تمبكتو التي جُلّ سكّانها مسلمون (90%) هدفاً دائماً لحملات التنصير عبر كلّ العصور وكلّما سحنت الظروف بذلك تعود قوافل التنصير لها، فالיום توجد أكثر من 300 منظمة تنصيرية غربية تعمل بمالي.

استمرت حملات التنصير تتمدد عبر أفريقيا حتى وصلت للتي تعتقد أنّ الإسلام كان أول دين سماوي يدخل لأراضيها وهي أوغندا مما أدى لإنخفاض عدد المسلمين بها إلى 16% بدل 40% من مجموع السكان.

و يشهد وسط وغرب أفريقيا حالياً نشاطاً تنصيرياً وعلى أشده، فقد أكد الدكتور جالو سيدو الأمين العام للمنظمة الثقافية للتنمية الإسلامية أنّ بوركينا فاسو تشهد غزواً تنصيرياً شرساً، ومخطط له بعناية كبيرة وهو له جذور قديمة يهدف لتزويب هوية مسلمي البلاد واستعادة مجد الصليب في غرب أفريقيا، 30..

وفي تصريح خاص لـ "المسلم"، أكد جالو أنّ الفاتيكان استغل تدني الوضع الاقتصادي وانتشار الأمية ببوركينا فاسو للقيام بحملاته التنصيرية الواسعة.

كما أكد على أنّ الطابع المجاني لمدارس ومستشفيات المنظمات التنصيرية شجّع الكثير من المسلمين على التوافد على هذه المؤسسات، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة اعتناقهم النصرانية.

وأكد د. جالو إلى أنّ هناك أكثر من 4000 مؤسسة تنصير ببوركينا فاسو تعمل في كلّ أنحاء البلاد في مجال التعليم الابتدائي والثانوي، بالإضافة لجمعيات خيرية وإنسانية كالمستشفيات والصيديات ومؤسسات إعلامية تلعب دوراً كبيراً في صناعة الأفكار والمبادئ والتأثير لصالح الكاثوليك والبروتستانت.

وأضاف د. جالو أنّ أعداد المسلمين تناقص من 20 مليون نسمة غداة استقلال الكونغو في حقبة الستينيات إلى 5 ملايين مسلم في الوقت الحالي وهذه ثمار ما قامت به المنظمات التنصيرية وبدعم تام من الفاتيكان.

كما أكد الشيخ موديلو أنّ الحاجة الماسة للمتطلبات الأساسية للحياة أجبرت ملايين المسلمين على يكونوا ضحايا لتلك المنظمات.

جمهورية النيجر التي يُعتبر الإسلام دين 98% من سكان البلاد البالغين 12 مليون نسمة أصبحت هدفاً لحملات التنصير وعلى مسارين الأول كان نقل الكثير من المهاجرين المسحّيين من الكونغو كرأس حربة لاختراق المجتمع النيجيري المسلم وتنصيره و المسار الثاني هو استغلال الأوضاع الاقتصادية وسوء الأحوال المعيشية بسبب الفقر والبطالة وانتشار الأمية و غياب الرعاية الصحية ومن خلال منظمات تنصيرية تُقدم المساعدات المقترنة بالدعوة للمسيحي.

الشيخ حامد كاني رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في سيراليون يقول: إنّ الحرب الأهلية ببلاده ومنتج عنها من تهجير ونزوح ومجاعات وأمراض وإفقال المدارس لأبوابها كلّ هذه النواذ دخلت منها المنظمات التنصيرية لسيراليون وسوء الأحوال المعيشية جعل السكّان فريسة سهلة للاستيلاء الممنهج للمنظمات التنصيرية.

الشيخ عثمان أحمد كشك، رئيس جمعية الشباب الإسلامي بالكاميرون شبّه نشاط وانتشار المنظمات التنصيرية بالكامرون بانتشار سرطان أصاب كلّ أرجاء البلاد وأضاف أنّ المنظمات التنصيرية ولاسيما البروتستانتية يُعتقد أنّها رصدت ما يقرب من 30 مليار دولار لتحويل القارة الأفريقية إلى قارة مسيحية بحلول عام 2017م.. وكذلك تمكّنت تلك المنظمات من إنشاء شبكة من الإذاعات من أهمّها إذاعة صوت الإنجيل التي تنشر بثها في جميع بلدان الغرب الأفريقي عبر لغات مختلفة منها الفرنسية والإنجليزية والسواحلية لمخاطبة جميع الفئات سواء في الكاميرون أو دول الساحل الغربي لأفريقيا.

من أجل تعزيز الحضور الغربي المسيحي أسست ترسانة إعلامية عملاقة وبدعم حكومي أمريكي وإنجليزي وفرنسي وبلا حدود، كما أسّسوا قنوات فضائية لنشر الخطاب المعادي للإسلام والمسلمين بالإضافة إلى الصحف والمجلات وصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وهكذا فإنّ الغرب سعى لصياغة وجدان وروح أفريقيا وفق أهوائه وعقيدته، واتحدت الكنيسة الكاثوليكية مع البروتستانتية رغم كلّ ما بينهما من خلافات لتحقيق هذا الهدف 31.

من خلال ما عرضناه من شواهد على ما قامت به الدول الغربية المسيحية من عمل ممنهج لتنصير أفريقيا هو حقيقة لا يمكن تجاوزها، وأن هذه الدول كانت لديها إستراتيجية واضحة تهدف إلى أن تصبح أفريقيا نصرانية وهذا تفكير كان ولازال مسيطراً على الساسة ورجال الدين والكثير من النخب الثقافية لديهم ويمتد لقرون طويلة، تحرّكه أساطير وأحلام، وهم يرونها عقيدة ومشروعاً حضارياً نبيلاً، وأنهم سبق وأن حققوا جزءاً كبيراً منه في عددٍ من دول العالم بل ومن أهمها أمريكا.

د. عبدالله حميد و د. فائق سعد في دراسة لهما حول (المذاهب الدينية في أمريكا، دراسة في أصولها التاريخية) يقولان إن من أهم ما وصلوا إليه من نتائج هي (إن نشأة أمريكا كانت نتيجة اندفاعات دينية، بل إن مغامرة كولمبس لم تكن إلا مغامرة دينية، وبكلمات كولمبس فإن الرب جعله رسولاً للجنة الجديدة والأرض الجديدة، بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا، وأراه النقطة التي يدها عنده. إن اكتشاف أمريكا قبل كل شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم) 32، هذا الحديث يتسق تماماً مع قول بابا الفاتيكان أثناء زيارته لعدد من الدول الأفريقية ووعده بأن أفريقيا ستكون كلها مسيحية مع بداية القرن الواحد والعشرين.

الهجرة الأفريقية من الجنوب والوسط نحو الشمال هي أحد أسلحة تحقيق هذا الحلم لأن هذه الملايين الزاحفة كانت هدفاً للتنصير لعقود من الزمن، والآن تزحف نحو دول جلفها عربية وإسلامية (مصر، السودان، تشاد، النيجر، مالي، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا، وتونس) إذاً كيف لنا أن نصدق قلق الغرب وخوفه من هذه الهجرات وهي تحقق له أنجازاً وروى وعقيدة دينية قادها الرهبان ومات من أجلها الآلاف من الجنود وصرف عليها المليارات من خزائن أوروبا، على الرغم من معاناة الملايين من الأوروبيين العاطلين بلا عمل ولا مأوى. إذن العامل الديني قد يكون عاملاً مهماً في حركة الهجرات الأفريقية، وهو ليس خياراً أفريقياً بقدر ما هو نتيجة لعملٍ خطّط له ولعصور من الزمن وقد حان الوقت المناسب لتحقيقه. فالقساوسة والرهبان الغرب المسيحيون هم يرون في الهجرات أنها هبة من السماء لأجل الرب وهو لاشك يباركها، فكيف يعقل أن تقف ضدها أو تتصدى لها أو تساهم أوروبا في إيقافها من منابعها.

عظفاً على ما ذكرناه فوكالات التنصير الغربية متمكنة وبقوة في الواقع الأفريقي، ولها سطوة وتأثير عميق جداً ولا يمكن تبرئتهم من أنهم طرف فعال في الدفع بحركة الهجرة الأفريقية وهم الذين يملكون الكثير من الأدوات لتوجيهها والتحكم فيها ووفق ما يريدون، وعليه تجاهل هذا العامل هو تجاهل لواقع ملموس لا يمكن إنكاره أفريقيا حتى ولو قال الغرب غير ذلك.

الصراعات الأفريقية الأفريقية

لاشك في أن للصراعات المسلحة سواء كانت لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية أو إثنية عواقب وخيمة على كافة مناحي الحياة وسلامة الأرواح، وهي أحد أهم المحركات لعجلة الحل والترحال وترك الأوطان، كما تشكل الصراعات المسلحة حالة من استنزاف لا ينتهي للموارد الاقتصادية، ناهيك عن آثارها النفسية والصحية المدمرة للأسف أفريقيا نموذج لهذه الصراعات وأهوالها وجحيم نيرانها، فلا يكاد يخلو قطر بأفريقيا لا توجد به هذه الصراعات فهي إن لم تكن صراعاً داخلياً فهو غالباً ما يكون مع دولة أفريقية جارة، فبدل أن تحشد كل الإمكانيات المحلية والأقليمية من أجل بناء فضاء تنموي للجميع تسوده روح إيجابية من التعاون والتعاقد لتحسين ظروف الحياة الكريمة لكل الأفارقة، فإن جلّ الموارد يصرف على الصراعات المسلحة ولأسباب كثيرة. هذه حقيقة مؤلمة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها ولكن الحقيقة الأخرى المغيبة وهي الأهم، من هو المسبب الحقيقي لهذه الصراعات ومن الذي هيأ لها الأرضية تاريخياً لاستدامتها ولاستمرارها لصالحه. هل هذه الصراعات هي صناعة أفريقية؟ وهل الأفارقة هم من اختاروها؟ وهل هم من ينبغي أن يدفعوا ثمن عواقبها؟ أم أن الأفارقة هم جميعاً ضحايا ظروف تاريخية صنعها غيرهم؟ وهو من كان الظاهر والمقتدر والفاعل ولكنّه اليوم يحاول أن يكون مستتراً. فلم يغادر الاستعمار الغربي المسيحي أفريقيا إلا بعد أن ترك من الفتن والحقد بين المكونات الأفريقية بما يكفي لديمومية الصراع الداخلي والإقليمي لتقويض الاستقرار والتنمية بهذه القارة المنكوبة والمبتلية بعبث الغرب بها 33.

فتركة الغرب بأفريقيا هي الجهل والتخلف والأميّة والأسوأ من كلّ ذلك الخلافات الحدودية بين هذه الدول التي رسم حدودها الغرب وخلق بها مناطق نزاع بل ألغام ممكن أن تنفجر في أي لحظة.

من أهمّ هذه البؤر التي كانت سبباً في الكثير من الحروب والتناحر بين أبناء القارة هو المشكل الحدودي بين الكامرون و نيجيريا، والحدود بين ليبيا وتشاد، و الحدود بين مصر والسودان، والحدود بين أثيوبيا والصومال، ومشكلة سبته و مليليه، و مشكلة الحدود بين الصومال و كينيا، ومشاكل حدودية بين دول المغرب العربي، بل لا تكاد توجد دولة أفريقيّة ليس لها مشكلة مع جارتها الأفريقيّة .

ويُتهم الغرب بشكل أو بآخر بأنّه موجود وبقوّة في كافّة الصراخ الداخلي بكافة الدول الأفريقيّة التي قامت بها صراعات داخلية وحروب أهليّة سواء كانت صراعاً سياسياً من أجل السلطة أو صراعاً دينياً أو إثنيّاً مثل الحرب الأهلية بالصومال و الحروب الأهلية في الكونغو الديمقراطية والصراع الإثني في رواندا والديني في السودان والسياسي في ليبيا.

إنّ ما تحقّق لنا مع أهميّة هذه المناطق المتوترة بأفريقيا سنجدّها هي من مصادر العالم من الذهب والنفط والغاز والماس والفحم وغيرها من الثروات، وهي أيضا من أكثر الدول التي استوطنتها الشركات الغربيّة بالإضافة إلى أنّها كانت مسرحاً لجهود الكنيسة للتنصير في أفريقيا وشهدت هذه الدول نزوحاً وهجرات لسكّانها وتعاني من أزمات اقتصاديّة خانقة.

هذه المناطق هي مهد الهجرات سواء من داخل القارة أو لخارجها، وهو ليس اختياراً بل إجبار، فهي استجابة لمعطيات صنعت على مدى طويل من الزمن و يتمّ استثمارها عندما يحين موعدها. ففي ظلّ وجود وسائل المواصلات الحديثة لم تعد الصحراء الكبرى مانعاً من تغيير هويّة منطقة ما سواء كان عرقياً أو إثنيّاً، وإذا ما تذكرنا وعد بابا الفاتيكان بأن تصبح كالأفريقيا مسيحيّة بحلول القرن الواحد وعشرين، فمن حقنا أن نقول إنّ ما يحدث من تغيّرات ديمغرافية بشمال أفريقيا العربي المسلم هو عمل مبيت ومخطّط له، وأنّ ما نشهده من توتر في منطقة الساحل والصحراء والتواجد العسكري و التبشيري الغربي هو مشروع غربي و بأدوات ووجوه سمراء من أجل مصالح الصليب وشركات النفط والغاز.

عطفاً على ما ذكرناه فإنّ حركة الجموع في أفريقيا يمكن أن تتوقف إذا توقّف تدخّل الأطراف الغربيّة في الصراعات الداخلية وتحت أيّ مصوغ، وهذا أمر من الصعب أن يلتزم به الغرب، لأنّه يرى في ذلك أنّه حق شرعيّ له للدفاع عن مشاريع كنسيته المقدسة ومكاسب شركاته الرأسمالية العملاقة، الأمر الذي يجعل حديثه عن جهوده لإيقاف الهجرة الأفريقيّة هو حديث للاستهلاك بالرأى العام المغيب بطريقة أخرى عن حقيقة ما يحاك من قبل النخب الغربية، والذي عبّر عنه صراحة جوزيف بوريل الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي بقوله يوم 18-10-2022 (أوروبا حديقة وبقية العالم أدغال). بالتأكيد إنّ بقية العالم هو ليس أمريكا ولكن أفريقيا لا يمكن إلا أن تكون جزءاً مهماً من تلك الأدغال المظلمة التي يقصدها بوريل³⁴.

مناقشة النتائج

تشير جُلّ الدراسات السابقة لظاهرة الهجرة غير الشرعية في أفريقيا على أنّها نتاج عوامل أهمّها الصراعات الداخلية ولأسباب اقتصادية وتدني الدخل وقلة فرص العمل و ضعف الناتج الاقتصادي لتلك الدول، ولكن دون أن تمضي قدماً لتقديم صورة حقيقيّة لجذور هذه المشاكل، فهي ليست زلازل ولا براكين لا يمكن التنبؤ بها للحدّ من أضرارها أو التحكم فيها، بل هي نتاج لعمل ممنهج و لقرون طويلة على أيدي دول أفقرت أفريقيا، و صادرت مستقبل التنمية البشرية والاقتصاديّة لمجتمعات هذه القارة، وهي نفس الدول التي تنعم اليوم بمجتمعاتها بالرفاهية و تتحكّم مؤسساتها السياسيّة و الصناعيّة في عجلة الاقتصاد العالمي على كافّة مستوياته، و هذا في اعتقادي هو عمل ممنهج وفي سياق خطاب عالميّ غربيّ مقصود، أليست هذه الدول هي المسؤول الأوّل عن إنتاج هذه الظاهرة؟ وهي التي تتعامل معها اليوم بـكلازدرء و استعلاء، أليست هي من سرق و نهب الثروات من أفريقيا ؟ ألم يكن نفوذها السياسي والعسكري والمخابراتي هو المهيمن على كافّة مناحي الحياة الأفريقيّة. ولقد ذكرنا في هذه الدراسة الشواهد والأدلة على الحضور الغربي بهذه القارة، ولقرون طويلة ومريرة، إنّ لماذا اليوم أوروبا الغنيّة لا تتحمّل وزر ما فعلته بهذه القارة، وتساهم بفاعليّة في حلّ دوافع هذه الهجرة ليبقي الأفارقة بأوطانهم، أليس في هذا خير لها و للأفارقة؟

يُقدّم المهاجرون الأفارقة على أنهم بؤساء وفقراء وغير متعلّمين وهم ضحية صراعات داخلية وحكومات فاسدة ومنظمات اجتماعية متخلفة وفي المقابل تُقدّم لنا المؤسسات الغربية على أنها الملاك المخلص الذي يُقدّم كلّ العون لمساعدة أولئك البؤساء القادمين من وراء البحار ومن رحم كتيبان الرّمال الساخنة.

بل يُعطي تدخّل تلك المؤسسات الغربية بُعداً أخلاقياً بتركيزها على الجوانب الحقوقية للمهاجرين و نرى و نسمع بعض التقارير الصادرة من تلك المؤسسات الغربية تتحدث عن ما يتعرّض له المهاجرون من انتهاكات جسيمة، مثل الاغتصاب والضرب والاسترقاق عبر منظمات أو أفراد أثناء رحلتهم الطويلة قبل أن يصلوا إلى أماكن آمنة بأوروبا وأمريكا، لا أحد يتحدّث عن من المسؤول على هذا الوضع البائس الذي جعل هؤلاء الناس يجازفون ويدفعون أيّ ثمّنه للخروج منه . الغرب يُحاول إقناعنا أنّ هذه الظاهرة كأنّها فطر الكمي الذي يخرج فجأة من تحت التراب أو على الأقل أنّ الغرب لا أثر له ويحاول أن يخفي أيّ بصمة أوروبية على جسد أفريقيّا المغدورة ووجوه أبنائها المعذبين.

فمن بين ملايين الأطفال الأفارقة المشرّدين والجوعى والباكين تخرج لنا قنواتهم الإعلامية بصورة طفل أسمر اللون تتبناه سيّدة أوروبية شقراء اللون وعيونها زرقاء و يظهر معها محاطة بكلب أو قط نال من العناية والرعاية ما لا تحلم به عشرات الأسر الأفريقية، ولكن تلك القنوات لا تقول لنا أنّ والد تلك السيدة كان أكبر لصّ و سارق للذهب من مناجم أفريقيا المعطاء وأنّ هذا الطفل لن يحصل على وقية ذهب من قناطر الذهب التي نهبها والد تلك النصرانية الغربية الشقراء من مناجم أفريقيا.

وتظل تلك الصورة النمطية تتكرّر أمام أعين المشاهدين، صورة الطفل الأسود الجائع و المعذب و حضن الأوروبية الدافئ والأمن له، ولا أحد يتحدّث عن الجاني على الرغم من وجود الضحية.

لأكثر من سبعين عاما تقدّم أوروبا وبكلّ خجل المليارات تعويضاً لضحايا اليهود ومعاناتهم لأقل من عشر سنوات أثناء معارك الحرب العالمية الثانية، و لا يكاد يمضي يوم لا نرى فيه فيلماً يتحدّث عن مأساة و معاناة اليهود خلال تلك الحرب، و لكن لا أحد يتحدّث عن تعويض الأفارقة عن قرون من العبوديّة والقهر النفسي و المادي والأخلاقي على أيدي المستعمرين الأوروبيين.

تاريخياً أوروبا هي من صنع هذا الواقع المزري بأفريقيا وهيأيضا اليوم من يحاول استثمار هذا الواقع لتبرئ ذمتها أولاً، ثم لتقدّم نفسها على أنّها حمل وديع و متحضّر و راعي أبدي ووحيد لحقوق الإنسان من خلال صور نمطية و متكرّرة لتنجين الرأي العام العالمي والمحليّ ليصدّقوا أطروحة تفسير الغرب لظاهرة الهجرة من أفريقيا، والتي يعزوها لعوامل محلية صرفة و ليس هناك ما يستدعي إتهام آخرين، بالإضافة إلى صورة الغرب الإنسانية التي لا تميّز بين لون أو عرق أو دين، ولكن الحقيقة المغتصبة تبقى بالنسبة لنا كضحايا أفارقة هي عنصريّة الغرب المقيتة.

كلّ يوم يخرج لنا من الحقائق ما يبرهن على صحة هذا الادّعاء أيّ عنصريّة الغرب و ازدواجية معاييرها في التعامل مع الآخرين و خير شاهد على ذلك حرب روسيا وأوكرانيا التي لازالت تدور رحاها، فمنذ الأسبوع الأول ومن بين جموع النازحين خرجت الصور العنصرية في التعامل مع العرب والأفارقة على تخوم الدول المجاورة لأوكرانيا، وشاهدنا صوراً مؤلمة للأفارقة وهم يعانون الجوع والبرد، ويمنعون من ركوب القطارات والحافلات، ويمشون مئات الكم للخروج من مناطق النزاع، في حين كان التعامل مختلفاً تماماً مع الأوكرانيين الشقر، المسيحيين الذين فتحت لهم الحدود والبيوت الأوروبية، و أصبح هناك مزاد علنيّ على المستوى الشعبي والحكومي على من يُقدّم أكثر للمهجرين والنازحين الأوكرانيين، بل وصل الأمر إلى إصدار تشريعات جديدة لتسهيل عبور وحضور وحماية المهجرين الأوكرانيين الشقر المسيحيين،³⁵.

وبالعودة للهجرة من أفريقيا كان الغرب انتقائياً في التعامل معها وكان يستثمرها وفق مصالحه والتي من أهمّها تعزيز حضوره المسيحي لتحقيق وعد البابا بأن تصبح كلّ أفريقيا مسيحية بالإضافة إلى الاستفادة من العناصر الأفريقية الشابة للتعاطي مع أزمة شيخوخة أوروبا المزمّنة.

لا جدال في أنّ الأفريقي جسدياً هو متميّز ما لم يكن متفوقاً على الآخرين و لم نجد أيّ دراسة تثبت أنّ معدل ذكائه يقلّ عن باقي الأعراق أو الأمم، إذن من الذي جعله يعيش في كلّ هذا الوحل من التخلف والفقر و المرض و المعاناة؟.

لن تجرؤ قناة غربية ولا أحد من كلّ الإعلاميين والمستشارين الذين نراهم يواكبون و يعلقون على كلّ الأحداث، لن يجروا أبداً علي طرح السؤال المذكور أعلاه، ثم إجابته بشكل تأصيلي أي البحث عن جذور الظاهرة، وأسبابها البنيوية، ثم تحمّل المسؤولية لمن كان وراء هذا الواقع المرير بأفريقيا، و الكثير من المناطق الأخرى بالعالم، ببساطة جداً أنّ كلّ تلك القنوات التي تصنع في الرأي العام المحلي والعالمي هي الأذرع الناعمة للشركات والمخابرات الغربية، وهي تعمل طوال الوقت، وبكل الطرق من أجل صياغة عقل ووجدان أكبر قدر من الناس وفق قيمها وتفسيراتها، و حتى يكونوا جنداً جبارين للقتال من أجل مصالح واستثمارات تلك الشركات، والتي بدورها تستنلّ بظلّ الكنيسة وبابواتها وقليلاً من الحواريين.

إنّ ما قاله الرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون و في الخطاب الذي ألقاه أمام طلبة جامعة واغادوغو ببوركينا فاسو الذي قال فيه:

(جرائم الاستعمار الأوروبي في أفريقيا لا جدال فيها)،³⁶ إنّ هذا القول ينبغى التوقف عنده والتعاطي إيجابياً معه وبشكل محطة تاريخية ينبغى أن يكون لها ما بعدها.

فهذا الإقرار يفتح الباب على مصراعيه لمحاكمة أوروبا على نتائج حقبة استعمارها بل دمارها لأفريقيا ، و على أفريقيا أن تتحدث بصوت واحد وبشكل جماعي وجهوري من خلال منابرها المختلفة و عبر كافة مؤسساتها وفي مقدّمتها مؤسسات الاتحاد الأفريقي، للمطالبة بتعويض أفريقيا مادياً من قبل الغرب لخلق تنمية مستدامة لشعوبها لتجّبهم ويلات الفقر وما ينتج عنه من مآسي وعلى رأسها ما نراه اليوم من هجرة و بالملايين لشعوب القارة.

وهنا نشير إلى سابقة تاريخية لدولة أفريقية انتزعت الاعتراف من دولة أوروبية وأجبرتها على القبول بالتعويض عن المنهوب منها وتعويضها عن ما أصابها من دمار وهذا كان حق لها و لم تكن تنتظر في هبات من أحد، ألم توقع إيطاليا مع ليبيا في 2008 وثيقة اعتذراها عن حقبتها المظلمة والظالمة للشعب الليبي وقيلت بالاعتذار والتعويض والمساهمة في مشاريع تنمية لصالح الشعب الليبي واستعدادها للمساهمة في علاج ضحايا حقول ألغامها بالأراضي الليبية وقبولها بإعادة الآثار والمخطوطات الليبية التي نهبتها إيطاليا الفاشية. وعليه أوصي بأن تبدأ الدول الأفريقية مجتمعة في فتح هذا الملف مع الاتحاد الأوروبي للشروع في حلّ مشاكل أفريقيا المزمنة ومنها الهجرة كقضية هامة وبمثابة قضية أمن وطني للقارة للسمرء وتطالب بحقوقها من مستعمرها³⁷.

هل يُعقل أن تصمت أفريقيا على ما تعرّضت له من مظالم وتبقى تدور في حلقة مفرغة ومصير مظلم ، فالظلم الغربي عامّة والفرنسي خاصّة في أفريقيا انطق حتى من هم من جلدتهم، فميشيل كولون وهو كاتب وصحافي بلجيكي شنّ هجمة واسعة على مظالم الغرب بأفريقيا وقدم عدداً من المحاضرات التي أهمّا قال فيها : إنّ تاريخ مظلم و سرق ونهب وتشريد للأفارقة حتى أصبحت أفريقيا قارة الجوع و المرض و الجهل. واستشهد بأدلة ملموسة تدين أفعال فرنسا في أفريقيا، فعلى سبيل المثال لا الحصر دأبت فرنسا ولمدة أربعة قرون في سرقة اليورانيوم من النيجر لتلبية نحو 75% من احتياجاتها من الكهرباء في مجال الطاقة النووية، ومع ذلك تصنّف اليوم النيجر على أنّها أحد أفقر دول العالم و90% من سكانها تحت خط الفقر ويعيشون بدون كهرباء ولا تعليم و لارعاية صحية ولا فرص عمل، كنتيجة مباشرة لنهب ثرواتها من قبل الاستعمار الفرنسي. ومن أهمّ الشركات الفرنسية المتورّطة في سرقة اليورانيوم النيجيري هي شركة (Areva) .

ويقول ميشيل في إحدى محاضراته إنّ أفريقيا أبداً لم تكن متخلّفة ففي سنة 1200 كانت امبرطورية مالي التي أسسها سونجاتا نموذجاً لدولة متحضرة بمؤسساتها وبرلمانها وهو الأمر الذي لم تعرفه أوروبا إلا بعد قرون منذ ذلك التاريخ، كما يشير ميشيل إلى واحدة من أبشع الجرائم التي قام بها الفرنسيون لتغيير هوية أفريقيا و فرنستها فقد قام الفرنسيين بقتل الآلاف من مدرسي اللغة العربية، لماذا لأن اللغة العربية كانت لغة التجارة والسوق بين كلّ تلك الدول و بدأ الفرنسيين في عمل ممنهج لإحلال اللغة الفرنسية بديلاً للغة العربية³⁸.

أما السياسة الإيطالية جورجيا ميلوني (رئيس وزراء إيطاليا حالياً) فقد فضحت دور فرنسا في نهب ثروات أفريقيا حيث قالت في حديث نقلته صحيفة الشروق الجزائرية (أن فرنسا تواصل استغلال أفريقيا عبر طباعة العملات لنحو 14 بلداً وتضع عليها ختمها، وعبر استغلال وتشغيل الأطفال في المناجم، وعبر الاستحواذ على المواد الأولية مثلما يحدث في النيجر حين تستخرج فرنسا 30% من مخزون اليورانيوم الذي تستعمله في تشغيل مفاعلاتها النووية و 90% من سكان النيجر يعيشون بدون كهرباء لا تقدّم لنا الدروس يا ماكرون)38.

إذا أردنا أن نعالج علل أفريقيا والتي في مقدمتها الهجرة سواء الشرعية أو غير الشرعية لابد من أن يدخل الغرب و بقوة في تمويل برامج تنمية مستدامة بكافة الدول الأفريقية، وعليه أن يحترم إرادة الأفارقة في اختياراتهم السياسية والثقافية وعليه احترام سيادة أفريقيا برفع يده الملوثة بدماء الأفارقة، وعلى الغرب أن ينزع فتيل التقاتل بين النخب السياسية التي صنعها لتمثل مصالحه على حساب شعوب القارة، نحن لسنا بحاجة لجمعيات خيرية تهتم بنا أسوة بوكالات رعاية الحيوانات، بل نحن ندفع في فاتورة ما سرق من ثرواتنا وما نحن إلا سوق لنفايات أوروبا الصناعية ومشاريع دنيئة تمنح صكوك الغفران للرهبان.

اعتقد أنّ هذا هو التوجه الموضوعي لدراسة ظاهرة الهجرة من أفريقيا، بل ولكثير من الظواهر الأخرى في أفريقيا مثل الفقر والتصحر والصراع على المياه و تدنّي التحصيل العلمي و التعصّب العرقي والديني وغيرها .

أفريقيا جُلّ مشاكلها وصرعاتها أسبابها خارجيّة ومتمثلة في نتائج رواسب الحقبة الاستعماريّة الغربيّة سابقا ووهج الهيمنة الغربية في الحاضر. فالتحرر من هذه الهيمنة والمطالبة بحقّ أفريقيا في تعويضها عن حقبة استعمارها هما الخياران الأمثل من أجل غد أفضل لكلّ شعوب القارة على اختلاف ملّتهم أو دينهم أو لونهم.

التوصيات:

- 1- بذل المزيد من الجهود لمعرفة الأسباب الموضوعيّة لحركة الهجرة من أفريقيا.
- 2- المؤسسات الإعلامية والأكاديمية عليها إيصال رسالتها للرأي العاميو الأفريقي للتعريف بحصيلة ما أنتجه الاستعمار الغربي من دمار وتخلف وعوامل مزعزة للأمن و الاستقرار والتنمية بأفريقيا.
- 3- مؤسسات الاتحاد الأفريقي مطالبة بتقديم حق تعويض أفريقيا عن حقبة استعمارها للدول المتورطة في تلك الحقبة المظلمة من التاريخ.
- 4- جهد أفريقيا ينبغي أن يكون موحّداً سواء السياسي أو البحثي أو الإعلامي في تعامله مع أزمة الهجرة من أفريقيا لأن كلّ أفريقيا تعاني نفس الأزمات وبسبب نفس العوامل.
- 5- إنّ المطالبة باسترجاع رفاة الأفارقة و آثارهم من متاحف أوروبا هو مطلب أخلاقي وهذا يمكن أن يفتح باب الاعتراف بحقوق الأفارقة والبدء في استرجاعها.

المراجع

- 1- تاريخ الهجرة البشرية-من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة-28 سبتمبر 2022،
- 2- سكاي نيوز، الخميس، 27 أكتوبر/تشرين الأول 2022
- 3- صحيفة تونس – البيان 19-5-2018
- 4- مناهج البحث العلمي - شبكة ألوكة- < www.alukah.net ثقافة ومعرفة > فكر أساسيات خطة البحث العلمي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- 5- ا.د. نسرین البغدادي وآخرون بحث عن الهجرة غير الشرعية للشباب في المجتمع المصري. المجلس القومي لحقوق الإنسان والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. القاهرة. 2015
- 6- محمد امحمد بوزيد، الهجرة غير الشرعية وأثرها على الأمن القومي الليبي (ص 16-19) . إشراف ا.د. عمر الحضرمي الحضرمي. قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية , كلية الآداب والعلوم جامعة الشرق الأوسط كانون الثاني. 2019.
- 7- مرجع سابق
- 8- المصراي، عبد الله أحمد عبد الله. هجرة غير الشرعية بالمجتمع الليبي دراسة اجتماعية ميدانية على المهاجرين غير الشرعيين بمركز قنفودة بمدينة بنغازي جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية 2014.
- 9- الحنايا ناصر بن حمد، الهجرة غير المشروعة. 2013.
- 10- مرجع سابق
- 11- ا.د. حميدة على البوسيفي، ماهي أسباب الهجرة والآثار الناجمة عنها وكيفية علاجها والمؤتمر الدولي حول ظاهرة الهجرة غير الشرعية: أزمة عالمية بين الواقع و التداعيات ببرلين، 2019.
- 12- Rodney, Walter, How Europe underdeveloped Africa, London, Bougle--12 L'ouverture Publications, 1972, p.132. ,
- 13- Udofia, O.E., Imperialism in Africa: A Case of Multinational Corporations, -13 Journal of Black Studies, vol.14, no.3, 1984, p.358.
- 14, مرجع سابق
- 15- Udofia, pp.359-360
- 16- Osabuohein, Evans, Efobi, Uchenna and Gitau, Ciliaka, External Intrusion, Internal Tragedy: Environmental Pollution and Multinational Corporations in Sub Saharan Africa, Advances in Sustainability and Environmental Justice, vol. 12, 2013.
- 17- Idemudia, Uwafiokun, Rethinking the role of corporate social responsibility in the Nigerian oil conflict: the limits of CSR, Journal of International

Development, vol.22, 2010, pp.836-842 and Idemudia, Uwafiokun, oil companies and sustainable community development in the Niger

Delta, Sustainable Development, vol.22, 2014, pp.178-179.

18- الشركات الألمانية في شرق أفريقيا, مؤلفات عربية. ويكيبيديا.

Rodney, pp. 265-266

19- كتاب تاريخ إفريقيا العام الجزء الأول "جيناأفريك/اليونسكو, تاريخ النشر 1980

20- عبدالعزيز إبراهيم – 2018 أرقام مفزعة عن دول متقدمة قد "تقتلها" الشيخوخة, قناة العربية, 2-10-2018.

21- ماري شارلوت كارمايكل ستوبس, من ويكيبيديا, الموسوعة الحرة.

22- John Bale & Marie Stopes: Her Work and Play, Maude, Aylmer (1933) Sons and Danielsson>

23- ديتليف شيله لصحيفة "زود دويتشه تسايتونج" الألمانية في عددها الصادر اليوم الثلاثاء (24 أغسطس/ آب 2021)

24- موقع روسيا اليوم , 2-10-2022.

25- مرجع سابق

26- تقرير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2019.

27- موقع تبيان, تقرير فريق العمل - 29 يناير، 2020.

28- موسوعة الدرر السنية, المشرف العام علوى عبدالقادر السقاف, المبحث الثاني, التأسيس و ابرز الشخصيات.

29- إسماعيل العربي, كتاب «الصحراء الكبرى وشاطئها», طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب, عام 1983, ص 110)

30- مرجع سابق

31- هبه برس . التنصير في غرب إفريقيا.. لموقع مسلم, العمل بعيداً عن ضجيج الإعلام (1 - 2). 8 رجب 1430.

32- أ.د. عبدالله حميد ، د. فاتن سعد عودة، المذاهب الدينية في أمريكا دراسة في جذورها التاريخية . ص 94, الطبعة الأولى 2020, دار قناديل للنشر و التوزيع, بغداد - شارع المثني.

- 33- شوقي عطالله الجمل ، ا.د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم (2014) وتاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر(ص 367-423) . القاهرة :المكتب المصرى للمطبوعات 2014.
- 34- سى إن إن العربية, يوم الأربعاء 2022-10-19
- 35- دار الهلال, رئيس مجلس الإدارة، أحمد عامر، رئيس التحرير، خالد ناجح، نيويورك تايمز تتحدث عن التمييز بين اللاجئين من أوكرانيا والدول الأخرى في أوروبا. عرب وعالم 4-11-2022.
- 36- شبكة أفرنس 24 الأخبارية، ماكرون يعترف بـ"جرائم الاستعمار الأوروبي" في أفريقيا ويدعو إلى علاقة جديدة بين الأوروبيين والأفارقة، نشرت في: 2017/11/28.
- 37- صحيفة المرصد الليبية , تاريخ النشر 8-7-2018, معاهدة الصداقة والشراكة و التعاون بين ليبيا و إيطاليا, 30-8-2008.
- 38- ميشيل كولونز. Twiteer Media Studio قناة الجزيرة 4-7-201 جورجيا ميلوني صحيفة الشروق الجزائرية , 9-22
- 39- صحيفة الشروق الجزائرية, جورجيا ميلوني , العدد, 2020-2-22